السلطان عثمان الثالث

فترة الحكم: ١٧٥٤ – ١٧٥٧

السلطان العثماني الخامس والعشرون

اسم الأب: مصطفى الثاني

اسم الأم: السلطانة الوالدة شَهْسُوَار

محل وتاريخ الميلاد: أدِرْنه،
٢ يناير/كانون الثاني سنة ١٦٩٩

العمر عند اعتلاء العرش: ٥٦ عاما

سبب وتاريخ الوفاة: السرطان،
٣٠ أكتوبر/تشرين الأول سنة ١٧٥٧

أولاده: كان عقيما فلم يعقب أولادا

مكان الوفاة وموقع الضريح: إسطنبول،
ودفن في مقبرة السلطانة الوالدة خديجة تُرخان بالقرب من المسجد الجديد بإسطنبول

لوحة زيتية للسلطان عثمان الثالث.

بقي السلطان عثمان الثالث حبيس جناح "شِمشرليك" بقصر "طوب قابي" لسنوات طويلة، واعتلى العرشَ في السادسة والخمسين من عمره، ليصبح أكبر وريث للعرش العثماني حتى ذلك الوقت، وكان يتسلى بالنجارة خلال سنوات إمارته. وبسبب السنوات الطويلة التي قضاها عثمان الثالث محبوسا في القصر فقد كان سريع الغضب، يُصدر قرارات متسرعة، رغم ندمه في بعض الأحيان على بعض القرارات التي اتخذها.

اختار عثمان الثالث -كسلطان جديد- رجاله بدقة، ودأب على تغيير الصدور العظام بشكل متكرر. وقد تسبب التغيير المتكرر في الصدارة العظمى في حالة من عدم الاستقرار وتعطيل شؤون الدولة. ومن المحتمل جدا أن يكون السبب وراء تخلص عثمان الثالث المتكرر من الصدور العظام أنهم كانوا قد اكتسبوا مزيدا من النفوذ والسلطة خلال فترة حكمه، فأصبحوا يسيطرون على الإدارة.

وفي السنة الثانية من توليه الحكم توفيت والدته "شهسوار والدة سلطان" الشهيرةُ بورعها. وبعد ثمانية أشهر من ذلك توفي ولي العهد الأمير محمد بسبب مرض أصابه.

واقتصاديا، قَدمت ميزانيةُ الدولة العثمانية فائضا خلال حكم عثمان الثالث كما كان الحال خلال الخمسين عاما السابقة. وخلال تلك الفترة كتب على العملة أنه تمّ سكّها في "إسلام بول" (والتي تعني حرفيا المكان الذي يسود فيه الإسلام)، وهو اسم آخر لإسطنبول.[٢٧]

وفي عهد السلطان عثمان الثالث أيضا تعرضت العاصمة العثمانية لكارثة سيل، وزلزالين طفيفين، وشتاء قارس البرودة لدرجة أن خليج القرن الذهبي تجمد في عام ١٧٥٥. وقام السلطان بزيارة الأماكن التي تضررت من تلك الكوارث بنفسه. وأمر موظفيه بتقدير الخسائر التي سببتها الحرائق الواسعة التي أصابت جزءا كبيرا من إسطنبول. واهتم السلطان اهتماما خاصا بتغطية الخسائر وتنفيذ جملة من التدابير لتجنب الحرائق مستقبلا.

لم تخض الدولة العثمانية في أية حروب خلال عهد السلطان عثمان الثالث الذي كرس وقته للقضايا الداخلية. وخلال تلك الفترة ضرب السلطان على أيدي

---

[٢٧] صك العثمانيون الكثير من الألقاب الرسمية لعاصمتهم ومنها: الباب العالي (أو لقب "الباب" فقط الذي استخدم بشكل واسع في الدبلوماسية الغربية)، والآستانة (بمعنى عتبة باب السلطان/ الحكومة)، وبايْتَخْتْ (أي مقعد العرش)، ومحروسة (أي العاصمة)، ودار سعادت (أي مكان السعادة).

جميع اللصوص في الأناضول والروملي، وأمر بتنفيذ عقوبات قاسية ضد قطاع الطرق الذين كانوا يهاجمون الحجاج في رحلاتهم، بالإضافة إلى الذين استغلوا مواقعهم الإدارية واستعملوا الممتلكات الوقفية المخصصة للأغراض الدينية أو الخيرية في سبيل منافعهم الشخصية. وأعطى السلطانُ الأولويةَ للتعامل مع شؤون الحُجّاج بمكة والمدينة.

وفي عهده صدر أمر بمنع الهجرة إلى إسطنبول، التي تضخمت واكتظت بالسكان. وقد سَمحت الحكومة عمليا بالدخول لأغراض العمل والتجارة فقط، وليس للشركات الكبيرة وإنما للأفراد فقط. وأصدر أوامر بمنع خروج النساء إلى الشوارع بلباس غير موافق للشريعة الإسلامية، كما منع من خروجهن إلى الأسواق إلا للحاجة. وطبقت هذه الأوامر نفسها في الحرم السلطاني.

كان السلطان عثمان الثالث يختلط كثيرا بالعامة متخفيا. وبذلك لم يتمكن من مراقبة المشكلات عن كثب فحسب، بل استطاع أيضا أن يعرف رأي العامة في الإدارة. ورغم أنه حَظر إظهار التبغ واستعماله علنا، فإنه لم تفرض أية قيود على من يدخّن بشكل مسؤول وشخصي.

ولأول مرة في التاريخ العثماني وقّع العثمانيون معاهدة صداقة وتجارة مع مملكة الدنمارك.

اشتد المرض على السلطان عثمان الثالث على نحو خطير قبل حضوره "سلام الجمعة" -وهو احتفال شعبي يقام عقب صلة الجمعة- وتوفي بعد ذلك بيومين. وتَذْكُر بعض المصادر أنه كان مصابا بالسرطان. وكان السلطانَ العثماني الخامس والأخير الذي يدفن في مقبرة السلطانة الوالدة خديجة تُرخان بالقرب من المسجد الجديد.

كانت والدة السلطان عثمان الثالث شهسوار، التي توفيت في السنة الثانية من حكم ابنها السلطان، تُعرف

منظر ليلي لمسجد نور العثمانية.

منظر لمسجد نور العثمانية و مسجد السلطان أحمد من برج بايزيد الذي كان مخصصا لاستكشاف الحرائق بمنطقة كاديكوي على الجانب الآخر من البوسفور (سيركا ١٩١٠).

مشهد لجناح السلطان عثمان الثالث و الشرفة ذات الأرضية الرخامية في قصر "طوب قابي".

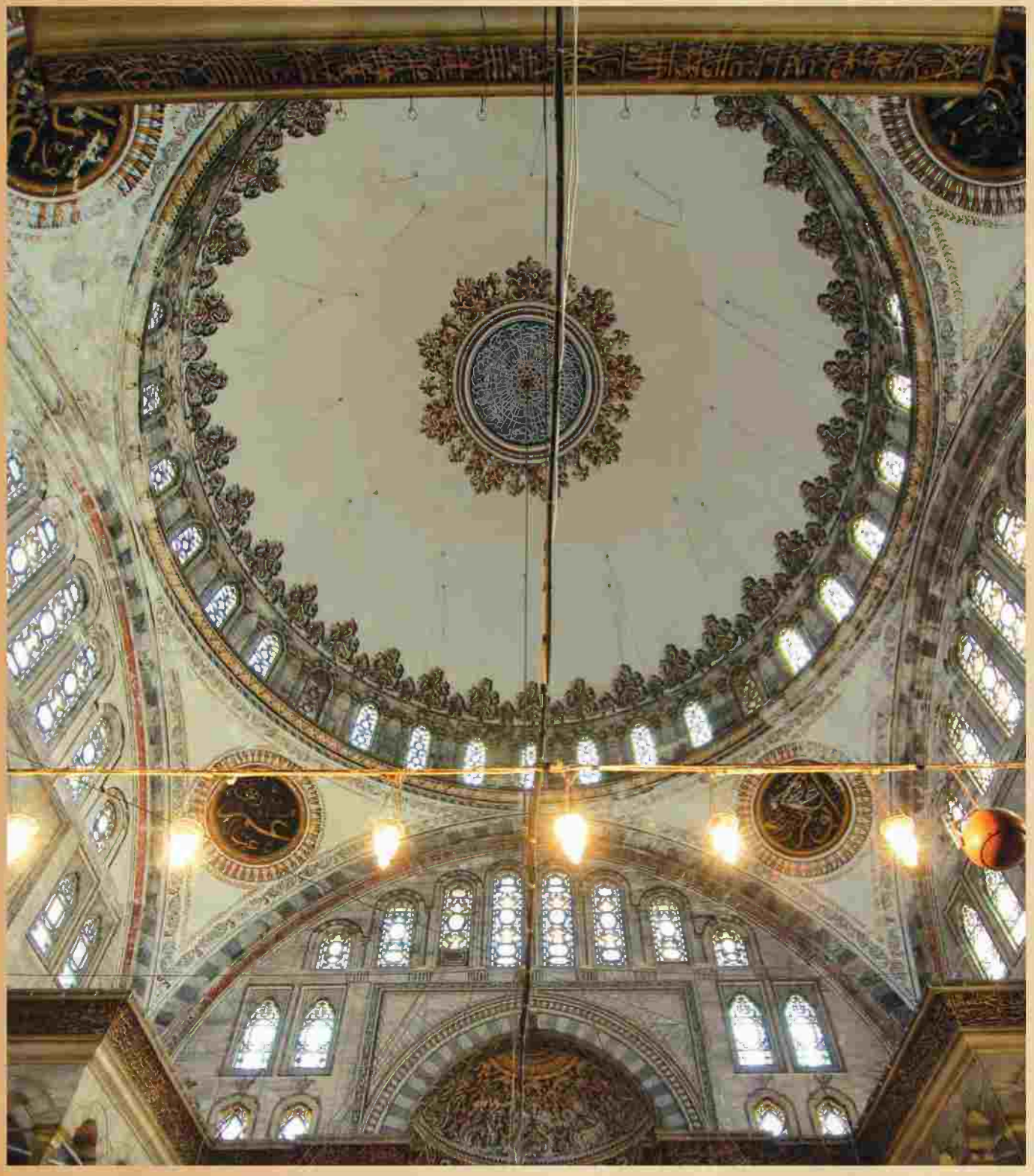

قبة مسجد "نور عثمانية" من الداخل، الذي بدأ بناءه السلطان محمود الأول وأُتم بناؤه في عهد السلطان عثمان الثالث.

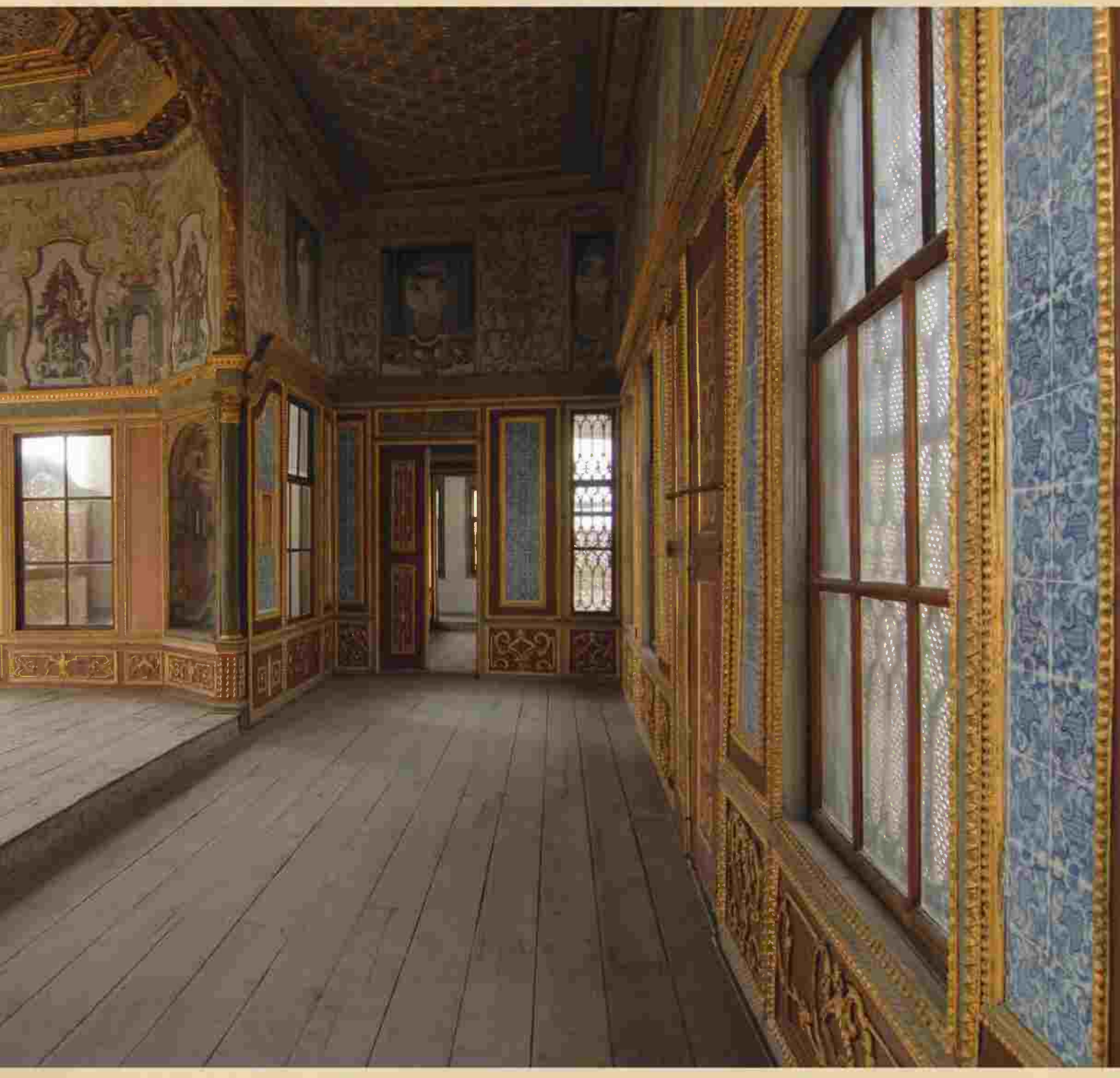

منظر من الداخل للجناح الذي أنشأه السلطان عثمان الثالث ويحمل اسمه في قصر "طوب قابي".

بورعها وتقواها. وبهذا تربّي السلطان في جو إيماني فأصبح مسلما متدينا. وكان يكره التبذير والكذب والرشوة، ويتعاطف مع عامة الشعب، ويقوم بجولاته بينهم متخفيا ويحاول تلبية احتياجاتهم.

كان عثمان الثالث خطاطا متميزا وفنانا، ومازالت بعض أعماله الفنية موجودة إلى اليوم بمتحف قصر "طوب قابي". وإلى جانب آثار أقدام الرسول ﷺ المحفوظة بقصر "طوب قابي" وبعض الأضرحة الأخرى كلّف عثمان الثالث الفنانين الموهوبين برسم لوحة من آثار الأقدام المقدسة كي يتم وضعها في ضريح السلطان أيوب. وشيد السلطان عثمان الثالث حي الإحسانية بمنطقة أسكودار بإسطنبول، وأنشأ هناك مسجد الإحسانية والكثير من المساجد الأصغر حجما التي مازالت موجودة إلى اليوم. وجدد عثمان الثالث كذلك مسجد المنارة المحترقة، واستكمل مجمع مسجد "نور عثمانية" الذي كان قد وضع محمود الأول أساساته.

وعندما اصطدمت قاعدة سفينة بالأرض بسبب ضحالة الماء على سواحل آهِركابي بإسطنبول في إحدى الليالي بدأ السلطان عثمان الثالث بإنشاء المنارة الأولى في المنطقة. وفي قصر "طوب قابي" أنشأ السلطان أيضا جناح عثمان الثالث الذي يطل على حديقة كولهانة ويتكون من حجرة رئيسية وحجرتين على الجانبين. وأجرى كذلك تجديدات شاملة على إدارة الشِمشرليك التي سجن فيها سنوات طويلة، وأضاف مباني قريبة منها.